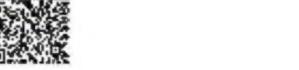
شبكة الألوكة / آفاق الشريعة / منبر الجمعة / الخطب / الرقائق و الأخلاق و الأداب

## فضل الرضا بالله تعالى (1) (خطبة)





إبر اهيم الدميجي

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 16/7/2022 ميلادي - 16/12/1443 هجري

الزيار ات: 6407



## فضلُ الرّضا بالله تعالى (1)

الحمد الله الذي خلق فسوَّى وقدَّر فهدى، وأسعد وأشقى، وأضلُّ بحكمته وهدى، ومنع وأعطى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العليّ الأعلى، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه النبي المصطفى، والرسول المجتبى، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى، أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واستمسكوا بدينه، واعلموا أن السعادة في الرضا به.

فقلتُ للفكر لَمَّا صار مضطربًا وخانني الصَّبرُ والتَّفْكِيرُ والجُلَّدُ

لا تغترضها بأمر منك تنفسِدُ دَعْهَا سماويةً تجري على قَدَر

فحَفَّني بخفيّ اللُّطْفِ خالِقُنا نِعْمَ الوكيلُ ونِعْمَ الْعَوْنُ والْمَدَدُ

عباد الرحمن، إن الرضا هو البحر الهائل الذي ينغمر فيه كل ألم، وتضمحلُ فيه كل مشقة، وتذوب فيه كل كريهة؛ ذلك أن الرضا التام بالله تعالى يثمر سِرْبال الصبر وثلج اليقين وبرد الحمد، فمهما هبَّت على القلب رياح الألم وادلهمَّتْ على النفس كبار الخطوب، وتصاكُّتُ على الصدر ألوية الهموم والغموم، فإن الرضا بالله تعالى ربًّا مُدبِّرًا حافظًا ناصرًا رَّازقًا، والرضا به إلهًا معبودًا، يُصيِّر تلك الأمور الصاخبة المزعجة لأحوال أخرى طيبة ساكنة وادعة مريحة، ﴿ وَأَفَوْضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [غافر: 44].

فالراضي بربه يعلم علم يقين أنه بيد من هو أرحم به من والديه، ومن نفسه التي بين جنبيه، فحينها لا يأتيه شغل القلب وكدره وهمُّه وبلاؤه إلا حين يغفُّل الفؤاد لحظات عن هذه المعاني الهائلة الجميلة، فهو حال لطيف تستلذُّه نفوس العلماء بربهم وإن قلّ علمهم بأحكام شرعه ودلائله، ومعنَّى جميلٌ تميل النفوس بأعماقها إليه، وتلقى القلوب بأزمَّتِها عليه، سلكنا الله جميعًا في سلك من رضى عنهم ورضوا عنه.

والرضا بالله تعالى سهلٌ يسيرٌ بحمد الله جلَّ وعزَّ، فهو يقينٌ وثباتٌ وسكينةٌ وطُمأُنينةٌ، وقد يظُنُ بعض العُبَّاد مشقَّته في ابتداء الأمر، فما هو إلا أن يسيروا في أفيانه قليلًا حتى تتكثُّف لهم سهولة الجادَّة وجمال الطريق، ثمَّ لا تلبث حقيقته الناصحة الرضيَّة السهلة أن تلوح في بصائر هم مشرقةً ناصعةً بيّنةً، ولقد أحسن أيّما إحسان من سمّى الرضا: حسن الخُلق مع الله. إنَّ الرضا بالله تعالى يشدُّ ما وَهَى من أعمدة بنيان الإيمان، ويبني ما انهدَّ من جدران الثقة، ويحرس أرجاء بيضة اليقين، ويا رب هل إلا عليك المعوَّلُ.

فالقلب يبحر في بحر الرّضا حاملًا معه علمه التام ويقينه الراسخ بأن اختيار الله له خيرٌ له من اختياره لنفسه، وحينها يباشر الإيمان شَغاف قلبه ويملؤها سعادةً وسكينةً وطُمَأنينةً وراحةً، مصداقًا لقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: ((ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَن رَضِيَ بِالله رَبًّا، وَبِالإِسلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدِ رَمُولًا))[1].

وتدبّر كيف وعد الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالرّضا لا بغيره؛ لأنه غاية وصول المؤمنين، فقال جل وعلا: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ وَ بُكَ فَتَرْضَى ﴾ [الضحى: 5]، ومن أرضى الله أرضاه الله، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللّهُ رَءُوفَ بِالْعِبَادِ ﴾ [البقرة: 207]، وتدبّرُ شرط الآية الكريمة إخلاص العمل لمرضاة الله لا غيره، فالعبد يبتغي وجه الله ورضوانه مُغرضًا عن كل ما يُشوش نبته ويُكثر إخلاصه، حريصًا كل الحرص على عبادة الرضا بالله تعالى ابتغاء رضوانه، قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الّذِينَ يُنُوفُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَمْنُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَمَثَلُ اللّهِ وَمَثَلُ اللّهِ وَمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ عَالَمَ اللّهُ عَلْمُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ وَمَثَلُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ لك علمُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلْمُ وَاللّهُ عَلَلُهُ اللّهُ عَالَمُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْمَ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ لك علمًا، فاحدث لله عبادة، ولا يكن فَسُوفَ لَوْ تَعْلَى اللّهُ لك علمًا، فاحدث لله عبادة، ولا يكن همُوفَ أَوْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: 114]، قال التابعي الصالح أبو قلابة رحمه الله تعالى: "إذا أحدث الله لك علمًا، فاحدث لله عبادة، ولا يكن همُوفَ أَنْ وَتِيهُ أَمْ اللهُ اللّهُ اللّهُ على مراتب الشكر لربه تعالى.

ألا وإن الله تعالى قد امتنَّ علينا بأتَتِ نعمة وأعظم مِنَّة وأكبر كرامة؛ وهي الإسلام العظيم، قال الله تعالى: ﴿ الْبَيْرَمَ يَيْسَ الَّذِينَ كَفُرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْ هُمْ وَاخْشَوْنِ الْبَوْمَ الْمَوْدَ وَأَنْمَفْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإسلام العظيم، قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ الله النِّينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا مِنْكُمْ وَاخْتُمُونُ الله النِينَ مَنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمْكِمْ نِينَهُمْ اللّهِ اللّهِ عَمَلِهُ مَنْ اللّهُ اللّهِ عَمْلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتُخْلِفَتُهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الْدِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيْمُكِمْ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهِ اللّهِ عَلَيْهِمْ اللّهُ اللّهِ اللّهُ وَمَنْ كَفُرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: 55]، فيا لسعادة وفوز وكرامة أهل الإسلام الذين اعتنقوا ورضوا ما رضيه ربّهم لهم سُلُمًا لمرضاته تبارك وتعالى!

عباد الرحمن، من تطلُّب مرضاة ربه فهو المهديُّ حقًا والغائز صدقًا، قال الله تعالى: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النَّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: 16].

وكيف لا يكون الرّضئوان هو غاية الغايات ومنتهى المطالب بعد رؤية وجهه تبارك وتعالى في الجنة، فمن رضي الله عنه، فلا تسل عن سعادته وحبوره وسروره ونعيمه، فعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول لأهلِ الجنةِ: يا أهْلَ الجنةِ، فيقولون: لبَيْكَ ربّنا وسَعْدَيكَ، والخيرُ في يديكَ، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربّنا وقد أعطيْتَنا ما لم تُعْطِ أحدًا من خُلْقِك، فيقولون: وأيُّ شيءٍ أفْضَلُ من ذلك؟ فيقول: أُجلُّ عليكم رِضُواني فلا أسخَطُ عليكم بَعْدَهُ أَبْدًا))[3]، قد ابيضَت وجوههم لما رأوا محبوبهم، وتَضرت لمّا نَظَرت.

## لا تَسأَلِ المَوءَ عَن خَلائِقِهِ في وَجههِ شاهِدٌ عَن الْحَبَر

ويا خيبة من لم يك عن ربه راضيًا ولا له مُرضيًا! فتعجّل الحطام الخسيس وباع الباقي النفيس: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُ الْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: 62]، فأين تعزب عقولهم عن إدراك وتيقن واعتقاد أن الله تعالى هو الأحق أن يرضوه، ومرضاة رسوله تبع لمرضاته، قال ابن الجوزي رحمه الله: "إذا كان معنى فعل الاثنين واحدًا جاز أن يذكر أحدهما ويكون المعنى لهما، كقوله تعالى: ﴿ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُ أَنْ يُرْصُنُوهُ ﴾، وقوله: ﴿ فَلَا يُخْرِجَنّكُمَا مِنَ الْجَنّةِ فَتَشْفَى ﴾ [طه: 117] [4]، وقال البغوي رحمه الله: "قال الله تعالى: ﴿ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُ أَنْ يُرْصُنُوهُ ﴾، وقوله: ﴿ فَلَا يُخْرِجَنّكُمَا مِنَ الْجَنّةِ فَتَشْفَى ﴾ [طه: 117] [5]، وهذا من دقائق التوحيد؛ لأن مرضاة الرسول صلى الله عليه وسلم فتبع لها، الله عليه وسلم فتبع لها، وهي مقصودة كذلك، فما لا يرضاه الرسول لا يكون مرضيًا الله تعالى، ورسول الله عليه وسلم عبد لا يُعبد، ورسول لا يكذب، بل يُطاع وهي مقصودة كذلك، فما لا يرضاه الرسول لا يكون مرضيًا الله تعالى، ورسول الله عليه وسلم عبد لا يُعبد، ورسول لا يكذب، بل يُطاع

ويُتَبَع، ولا يوصَلُ إلى مرضاة الله تعالى- بعد بعثته- إلا عن طريقه، فما جاء به فهو الهدى الموصِل إلى الرّضُوان، وما لم يأتِ به فهو الضلال المبين والخسران المقيم، وتأمَّل قول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيَّة أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ﴾ [آل عمران: 128]، وقوله تعالى: ﴿ يَاأَيُهَا الله سَعْلَ وَالْمَسُولُ يَلْمُونُ الله عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ﴾ [المائدة: 67]، والمقصود أن مرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم دين وشرع وعبادة لله تعالى ومطلوبة من كل مؤمن، وهي عينها مرضاة لله تعالى؛ لأنّ الله تعالى وهو المقصود بالإرضاء -قد عصم رسوله أن يرضيه ما لا يرضي الله تعالى، فعاد الأمر كله إلى إرضاء الله تعالى، وكل مرضاة ارسوله صلى الله عليه وسلم فهي عائدة إلى مرضاة الله جل جلاله.

بارك الله لي ولكم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه الداعي إلى رضوانه، أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واحمدوه واشكروه وارضوا به ربًّا وإلها ومدبّرًا عليمًا حكيمًا بَرًّا رحيمًا.

عباد الله، الدين المرضيُّ أُسُّهُ ثابتٌ، وقواعدُه راسخةٌ، أما غيره من الأديان فسبيلُ الشَّقُوة والخسران، وطريق الضيعةِ والهوان، قال ربنا تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقُوَى مِنَ اللهِ وَرِضُوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفِ هَارِ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقُوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة: 109]، وقال سبحانه: ﴿ أَفَمَنِ اثَبَّعَ رِضُوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنُّمُ وَبِثْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: 162].

والمصادق حقًا هو من أسلم وجهه لله ابتغاء مرضاته وفضله: ﴿ لِلْفُقْرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَصْلًا مِنَ اللّهِ وَرِضْنَوَانًا وَيَنْصُثُرُونَ اللّهَ وَرَسُولُهُ أُولَنِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحشر: 8].

ومن رضى الله عنه فلا عليه ما فاته من حطام الدنيا وما عليها من ظل زائل، واستمِع بقلبك لهذا النبأ العظيم من لدن العزيز العليم: ﴿ قُلْ أَوْنَنِتُكُمْ يِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقُوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطْهَرَةٌ وَرِضْنَوَانٌ مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: 15]، فليس وراء رضوان الله لأولى الألباب غاية!

فإن سالت: من هو المتبع رضوان الله؟ فهو المُقدِّم مرضاة ربه على رغائب ورهائب الخلق؛ نفسه ومَن ومَا بعدها، ﴿ الَّذِينَ اَسْتَجَابُوا لِلهِ وَالتَّوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ \* الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَدْمُوا مِنْهُمُ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ \* الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ اللهُ وَفَصْلُ عَظِيمٌ \* الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ اللهُ وَفَصْلُ عَظِيمٌ \* اللهِ وَفَصْلُ لَمْ يَمْسَسُهُمُ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رضُوانَ الله وَفَصْلُ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: 172- 174] فتلمّخ وتسمّع وتنصر شأنهم عند ربهم، نسأل الله الكريم من واسع فضله وكريم نواله، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَصَهُوا عَنْهُ وَلَقِينَ المَنْوانِ وَجَنَّاتُ لَهُمْ وَاللهُ يَعْمَ وَأَنْفُولُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: 11]، وقال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ اللهُ وَاللهُ عَلَيْهُ وَرَضُوا وَجَنَّاتُ لَهُمْ وَرَضُوا وَجَنَّاتُ لَهُمُ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَلَيْمُ ﴾ [التوبة: 20]، وقال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُولُونَ مِنَ اللهُ عَلْمُ حَبَّاتٍ تَجْرِي تَحْتُهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِلْهُ الْمُؤْمِنِينَ وَاللّهُ مِنْهُ وَرَصُوا عَنْهُ وَأَعَدُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتُهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفُوزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: 20]، وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤُمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللهُ تَبَارُكُ وتعالى وتقدَّسَ فَيهَا وَمَسَاكِنَ طَيْبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدُنٍ وَرضُوانَ مِنَ اللهِ أَكْبُرُ

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار.

اللهم صل على محمد.

[1] مسلم (34)، والترمذي (2623).

- [2] فتح المغيث (3/ 294).
- [3] البخاري 8/ 142 (6549)، ومسلم 8/ 144 (2829).
  - [4] زاد المسير (1/ 70).
  - [5] تفسير البغوي (1/ 89).

حقوق النشر محفوظة © 1445هـ / 2023م أموقع الألوكة آخر تحديث للشبكة بتاريخ : 10/5/1445هـ - الساعة: 11:8